الطوفان

(الرحلة التي كان يحلم بها جدي)

من اين يجي ،لحزن اليّ وانت معي
من أين يجيء ؟
قنديل مختنق الانفاس يضيء
يبكي وسط متاهات الليل ،
يتسلق قامته ظل رجراج
يتمدد ، يكبر ، يفترش الصحراء
.. يدب الدود الزاحف تحت عباءته السوداء
.. يعشعش في احداق المصلوبين
على احلام التاج
ايقونات حمراء بلون الدم
ولها رائحة الدم
يتمدد ظل الموت
..على صدر القنديل الراقص بالوجع
لكن لا يلبث ان يهوي ،
يتقلص مثل الزئبق، يتساقط كالوهم.
الدود الزاحف مذعور ،
.. يتفارر ، يبحث عن جحر يؤويه من الجزع
والمصلوبون على احلام التاج
ماجوا أفواج
ومشوا قامات من سخط وهياج
(من منا يوما لم يصلب ؟
من منا لم يجع ؟)
من اين يجيء الحزن اليّ اذن ..
من اين يجيء وانت معي ؟
كتل من لحم وعذاب
.. تتقاذف حولي كالامواج :
زلزلة الاقدام المجنونة ،
.. طوفان النظرات المسنونة
.. بركان الحقد المكبوت
احزان الاوجه راكضة
تتلفت في ذعر ،في جوع، في شوق،
في ...
لا وقت لرصد ملامحها
كل الاشياء تمر كلمح البرق، كلفح النار بنافذتي
وعيوني غارقة
.. في نهر الضوء – الحلم الدافق ملء دمي
عبقا .. وهاج
وقطار الحزن ،قطار الجوعى والفقراء
.. يخض ضلوع الارض ،
ويسبق احلام الشعراء
جوعى .. فقراء ، وقرص الشمس رغيف
والموت رصيف
والسكة شريان ..
يمتد من القلب المذبوح
.. الى الشفق الاحمر
هاتوا ياكل المنتظرين على أرصفة الموت اياديكم
هاتوا يا الجوعى امتعة الرحلة
هاتوا يا الفقراء
هاتوا الاحزان الحمراء
هاتوا معكم بحر الغيظ المضمر
وتعالوا يا شهقة صحراء الجوع
انهارا من عرى ، من سخط ، من حزن ودموع
فالرحلة تبتدىء الليلة
عفوا .. الموت سيبتدىء الليلة
والسكة شريان ..
يمتد من القلب المذبوح
.. الى الشفق الاحمر .
من اين يجيء الحزن اليّ وانت معي؟
يا طيرا يخفق في قلبي
ويرف على هدبي
يا ساهرة كالشمس على شباك غدي
يا طالعة كالحلم على جفني ويدي
يا سكرى .. يا ولعي
من أين يجيء الحزن وانت معي؟
الليل .. الصمت .. صفير مبحوح
.. عجلات قطار
والدنيا حولي مقبرة ..
مظلمة خرساء مخيفة
يفترش الليل حناياها
أشباح تتراكض فيها .. تزبن في كل زواياها
ديدان تنخر في جيفه
وكلاب تفقأ احداق الموتى
(ما ضر الشاة المذبوحة سلخ من بعد الموت كما يروى ..
لكن ان يسلخ انسان ؟ حيا ؟!)
ويسود الليل .. الصمت .. صفير مبحوح ..عجلات قطار
الظلمة دائرة ما زالت تتسع وتكبر
والاوجه عاصفة من نار
تركض..
والنظرة في المقل المسنونة كالخنجر
تثقب صمت الليل الاصداء
تتفارر في ذعر زمر الديدان
وكلاب « القنص » الليلي الحمراء
تصعق ، تجبن حتى من ان تنبح.. تنبس

فالرحلة قد بدأت ..
والسكة شريان ..
يمتد من القلب المذبوح
.. الى الشفق الاحمر

نشيد رقم ١

كانت عيناك على جدران البيت
نافذتي ضوء وبشاره
كان ضياؤهما في قنديل الليل الناعس
.. قطـرة زيت
كانت عيناك تواريخ الاحزان بصدر ابي
كانت عيناك اغانيه .. فمه .. دمه .. داره
كانت عيناك على صدر الليل المعتوه
بقريتنـا
.. الف منارة
لهما كتب الاشعار ابي
وانا غنيت
وانا صليت
وانا ارضعتهما وجعي
وزرعت بظلهما اوجاع ابي
. . اشواق صباه الفواره
من اين يجيء الحزن اليّ اذن
من اين يجيء وانت معي ؟

ـ (من بين قصاصات جدي القديمـة لم تزل تضيء ذاكرتي هذه القصاصة) : موال كـان ابي يردده في آخر الليـل ، ثم يظل مدة طويلة منتصبا امام النافذة المفتوحة) ..

« نيران غدر الدهر توكد بكلبي بحر
وعلى سلّن سيوف الماضيات وبحر
الناس في ظلهم وربعي في شمس وبحر
من حيث أهل الوفا ما عاد فيهم وصل
انكص حبل الرجا منهم فلا له وصل
لا شك بالسيف اقطع روس الاعادي
وصل

لكنني في جزيرة ودار ما داري بحر
(واظل اسمع سعاله المتقطع وتنهداته تمزق رداء السكـون من حين لآخر)
حملت نسمات الليل صدى موال ابي
وتناقله الاطفال بقريتنا
غنوه كثيرا اثناء اللعب
كبروا واحبوه ..
سألوا عن بعض معانيه
عما بث ابي من حزن فيه
فبكوا حين احترقت اطراف اصابعهم
في مجمرة اللهب
لكن ما زال الكل يردده .. ويغنيه

(اصحو من غفوتي مع الذكريات على صوت عجلات القطار ، فأجد نفسي في عنف الرحلة التي كان يحلم بها جدي . احدق برهة في عينيك، ثم اعود لاكتب هذه المذكرة التـي تمنيت لو يقرأها جدي وابي : الى ابـي الحبيب ، والى جدي العملاق قبله ، كـل بذار الحلم الذي دفنتماه فـي عذاب الارض وضمير التراب . كل لهاث الاغاني والمواويل التي رويتما بها عطش الصخر والنخيل . كلها تتحول اليـوم في مدن الجوع والرفض ، الى قامـات سيوف تطلع من رئة التراب ، وترحل معنـا فـي قطار الجنون . ابي .. جدي، لا تعجبا وانتمـا تقرأن في هذه المذكرة انه امام طوفـان اقدامنـا العارية ، اخذت فعلا تتهاوى معاقل الاصنام وحصون الآلة الورقية .. وتنـدك)

تك .. تك .. تك .. تك
من اين يجيء الحزن اليّ وانت معي؟
ابصر في عينيك الاكفان المصبوغـة بالدم

تتفتق زهرا وحشيا ..
وجيادا نافرة الاعناق تخب الارض،
.. وترقص فوق حبال الهم
قومي نرقص فالحلبة خالية ..
والموسيقى عالية النبرة تدعونا للرقص
.. ولحن الموت يناديا ، مبحـوح الصوت
يزفر في اضلعنا صخبه
والارجل كاد يميت البرد مفاصلها..
والشوق القاتل فيها للرقص المبهم
هاتي كفيك الى الحلبة
القاك هناك ، نهز الخطو على ايقاع الموت
كفّ في كف .. عاصفة من شوق ملتهبة
وفم في فم
هاتي كفيـك ،
.. فبعد قليل يأخذنا القطر المجنون الى الجلبه
وسنرقص .. نرقص حتى الموت
من أين يجيء الحزن وانت معي؟

نشيد رقم ٢

(من جوف القطار وعبر نوافذه المفتوحـة في كل الجهات ، كان يتفجر هذا النشيد):

نحن لهاث الارض الحبلى
نحن انين الصخر العطشان
نحن الرايات .. الشهداء .. القتلى
نحن العرى ونحن الاحزان
اين تجيل الطرف ترانا ..
فغدا نأتيك مع الطوفان
(جاءوا ، فالاعين جمر محترق
والنقمة اسنان تصطك)
تك تك .. تك تك .. تك تك .. تك تك

نشيد رقم ٣

(على رصيف المحطة القادمة ، وعلى لوحة كبيرة كتب هـذا التنبيه) :

طلعت سنبلة الموت سيوفا ..
في تضاريس الوجوه المستطيرة
وغدا الجوع رغيفا احمرا يضحك في عز الظهيره
آه يا جرح بلادي ..
يا عذاب المرجل الراقص فوق النار
.. يا شوق انظاري
آه يا شارة طوفان الجزيرة
زرع الشوك بايدينا ومـا ...
اتعب الشوق امانينا وما ...
آه ياليل بلادي قرح المسهد اغانينا
.. ومـا شب الحريق

البحريـن **علوي الهاشمي**